

أهمية الزمان والمكان في العمل القصصي من منظور النقد الأدبي المعاصر.

أ.بوعافية أحمد

المركز الجامعي تماراست

ملخص البحث:

يُشكك الزمان والمكان في العمل القصصي خصوصية متفردة، وفق منهجية قائمة على علاقات متبادلة يُشكلها السارد في متن النص بُنية تلاحمها مع المكونات السردية في الخطاب القصصي، فالجكي عن مكان ما، دون الإشارة إلى عنصر الزمان يعتبر عملا لا يرقى إلى الفنية الأدبية، باعتبارهما وحدتين متكاملتين لا تقبلان الفصل أو الانشقاق، لذلك فالنقد المعاصر اهتم بدراسة جمالية الزمان والمكان في الخطاب الأدبي تنظيرا وتطبيقا، من خلال توظيف تقنيات السرد القصصي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة .

Résumé :

le temps et le lieu constituer dans l'acte historiques spécificité unique , sur méthodologie existant à les relations mutuelles formé par le narrateur dans le corps du texte pour la cohésion avec les composantes narratives dans la discours historiques ,donc la narration de quelque lieu, sans signal à l'élément de temps il considéré un acte ne sommet pas à l'art littérature, en tant que deux unités sont complémentaires, Ils n'acceptent pas la séparation ou de fissuration, donc la critique moderne Il s'intéresse à l'étude de l'esthétique du temps et de le lieu dans le discours littéraire en théorie et en pratique, à travers l'utilisation les techniques narration historiques dans la lumière du la méthodologie critique modernes.

مدخل:

إن العمل السردي على وجه العموم هو فن يهتم بالزمان والمكان باعتبارهما وحدتان من أدوات العمل الأدبي والفني ، لذلك فالحديث عن أحدهما يؤدي بطبيعة الحال للآخر من هذا التعالق نشأ مصطلح "الزمكانية" (chronotop) والذي هو في الأصل منحوتا من مصطلحي المكان والزمان.

فالسرديات النصية تهتم على وجه الإجمال بالنص السردي باعتباره بنية مجردة... وهي تهتم به من جهة "نصيته" التي تحدد "وحدته" وتماسكه وانسجابه في علاقته بالمتلقي في الزمان والمكان¹، لذا اهتم النقاد كثيرا بعاملَي الزمان والمكان فقد وقف (بوريس توماشفسكي) عند الدور التحفيزي الذي يؤديه كل من المكان والزمان في السرد ودعا إلى إيلاهما انتباهها خاصا لما يتعلق الأمر بما وصفه بتحليله تأليف الأعمال².

إن الحدود الزمانية والمكانية للبنية السردية ينبغي ان تكون محددة بزمان هذا الحدث الواحد ومكانه³ فلكل منهما-الزمان والمكان- تأثير على الآخر ، فالمكان في مقصواته المغلقة التي لا حصر لها ، يحتوي على الزمن ، وهذه هي وظيفة المكان اتجاه الزمن⁴. أما الزمن فيساهم في إبراز المكان من خلال تناسق وتناغم الزمن مع طبيعة المكان، كما انه جزء من حياة الشخصيات التي تتحرك ضمن أمكنة معينة.

في الفلسفة الحديثة يرى (برجسون) بأن الزمن " بوصفه الروح المحركة للوجود"⁵ على حياتنا اليومية أو في كتاباتنا القصصية ، فالزمان أثر بصورة مباشرة على سرد الأحداث فبدونها لا تتتابع الأحداث بصورة منطقية لذلك تعرض "الشكلانيين لطريقتين لعرض الأحداث أو سردها : إما أن يخضع السرد لمبدأ السببية فتأتي الوقائع مسلسلة وفق منطق خاص، أو أن يتخلى عن الاعتبارات الزمنية بحيث تتتابع الأحداث دون منطق دلالي"⁶.

أما المكان فله دلالات كبيرة على النص الأدبي من خلال تأثير البيئة على المؤلف مما أدى إلى ارتباط وثيق بين الكاتب وبيئته وبطبيعة الحال انعكست على كتاباتهم خاصة فيما يتعلق بوصف الأمكنة واستخراج الدلالة فالعمل الأدبي في جوهره "مرآة تكس صورة الطبيعة" على حد قول (شكسبير)⁷ لذلك يرى الكثيرون من النقاد أن المكان يمثل جمالية وهوية العمل الأدبي ، ففي النص الأدبي يتشكك فضاء أدبي هو المكان ، تشكل الكتابة عن طريق اللغة التي تساعد على تقديم توصيف للمكان الذي يشكك فيه الراوي شخصياته⁸.

إن التلازم ما بين الزمان والمكان من أهم القواعد السردية التي يبنى عليها النص الأدبي ، فلا وجود للزمان دون مكان ولا للمكان دون زمان ، وبفضل هذا التجانس تتشكك عناصر سردية أخرى تدخل مجال السردية من شخصيات وأحداث.

1- السردية الزمنية

الزمن اسم مأخوذ من فعل: زمن (بالفتح)، فالزمن لغة: اسمٌ لقليل الوقت وكثيره ، وفي المحكم الزمن والزمان العصر والجمع أزمانٌ و أزمانٌ وأزمنةٌ. والزمن يقع على فصل من فصول السنة، وأزمن بالمكان انه أقام فيه زمانا⁹ ولا يختلف الزمن عن الزمان لغة فهما ينتميان لمادة لغوية واحدة .

فالزمن الأدبي أو القصصي هو زمن التجارب والأحداث التي تلازم الكاتب ، فهو ليس زمن واقعي وإنما هو زمن افتراضي أو نسبي إنه مجرد من الكلام أو السمع أو الإحساس، ولكنه شاهد على الشخصيات والوقائع.

المقال: أهمية الزمان والمكان في العمل القصصي من منظور النقد الأدبي المعاصر.

إن الزمن يشكك واحدا من أهم المقولات الأساسية في تجربة الإنسان. وقد طرحت الشكوك حول صلاحية اعتباره مكونا للعالم الفيزيقي، بيد أن الأفراد والمجتمعات مازالوا يواصلون تجربتهم معه وينظمون حياتهم وفقه.¹⁰

يؤكد (جينيت) عدم قدرتنا على الاستغناء عن وضع قصة دون تحديد زمنها بالنسبة إلى زمن السرد ، فسردها في زمن حاضر أو ماضٍ أو مستقبل من الضرورات الملحة ، ولعل ذلك ما جعل التحديدات الزمنية لهيئة السرد أكثر أهمية من التحديدات المكانية.¹¹ فالزمن ليس واحدا في كل الأحوال والمستويات...هناك زمن الحكاية أصلا، حيث تخضع مجريات الأحداث لترتيب خاص ، وقد تخضع لترتيب آخر في الخطاب القصصي وهو زمن الخطاب أو النص ، ويمكن إضافة زمن ثالث يتعلق بالموقع الزمني للسارد بالنسبة للزمنيين اللذين سبق ذكرهما.¹²

لما تكلم (تودوروف) عن مقولة الزمن في المحكي لم يكن تصوره خاليا من منجزات سابقه أو حتى معاصره من الشكلانيين الروس إلى رواد الدرس اللساني ، ولذلك سعى إلى تحليل الزمن من زاوية شعرية بنيوية...فالشكلازيون حسب قراءته لهم يهملون المحكي بوصفه قصة فلا يولون اهتماما للأحداث بل يهتمون بالعلاقات التي تنتظمها ، كما أنهم يقفون عند التصديعات الزمنية ويعدونها " الخط الوحيد الفاصل بين زمن القصة وزمن الخطاب".¹³

لذا تنفرد دراسة الترتيب بمتابعة ترتيب الأحداث في الخطاب السرد في مقابل ترتيب تتابها في القصة ، ولأن المفارقة بين الترتيبين حاصلة حتما فإن القول بوجود حالة من التطابق الزمني التام بين القصة والمحكي أمر لا يمكن قبوله إلا على سبيل الافتراض لا الحقيقة، بل إن (جينيت) ذهب إلى عد المفارقة الزمنية إحدى الموارد التقليدية للسرد الأدبي.¹⁴

1-1- التشكيك الزمني: يتشكك في ثلاثة أشكال وهي كما يلي:

1-1-1- شك الترتيب الزمني : ويقصد به مدى تتابع الزمني للأحداث في النص الروائي وموافقته لترتيب الأحداث في الحكاية. أي التناسب الطردي أو العكسي بين الأحداث وترتيبها في الواقع الحكائي ويحدث عن طريق سرد الكاتب للأحداث ، ثم يتوقف ليسترجع أحداثا ماضية أو يستيق أحداث لم تحدث بعد وتسمى بالسوابق أو اللواحق السردية.¹⁵

وهناك من يسميها الاسترجاعات أو الاستباقيات والتي نسردها كما يلي:

1- الاسترجاع (Analapses):

هو ذلك السرد الذي يتطرق للأحداث التي جرت في الزمن الماضي واسترجاعها ، أي العودة إلى ما قبل نقطة الحكاية ، فالسرد في حقيقته استذكار لحدث مر سابقا ، تستجمع أزمنته لينتظم ، وينطلق في الفعد المنتج له¹⁶، ونستطيع أن نقول أن الراوي يكسر زمن قصه أو يكسر حاضر هذا القصة ليفتحه على زمن ماض له¹⁷ ويتميز بنوعين هما:

• **الاسترجاع الداخلي Analepses internes :** وهو الذي يسير وفق زمن القصة ويتصل بالشخصيات والأحداث. ويضم كل من:

- الاسترجاع الداخلي التكميلي **Analepses internes Completives** : وتأتي عادة لتسد فجوة سابقة في الحكاية .¹⁸

- الاسترجاع الداخلي التكراري **Analepses internes répétitives**: وتأتي لعودة تكرار السرد لحدث سبق ذكره و يسميها (جيرار جينيت) بالتذكيرات .¹⁹

• **الاسترجاع الخارجي Analepses externs** : هي تلك الاستحضارات التي تقع خارج الزمن للمحكى الأول وتوظف عادة لإثراء القارئ بمجريات الأحداث. وتقسم إلى:

- **الاسترجاع الخارجي الجزئي Analepsies externs Partielles** : هذا النوع من الاسترجاعات والتي تنتهي بحذف دون الانضمام إلى الحكاية الأولى أي أنه لا يلتحم بالسرد الأولي للحكاية ، تقطع صراحة بحذف ، وبعدها تستأنف الحكاية الأولى²⁰

- **الاسترجاع الخارجي الكلي Analepsie externs Complète** : نعني به الاتصال بالحكاية الأولى دون أي فصل بين مقطع القصص²¹ فمثلا نجد دمج حياة السارد في حكاية معينة إلى الحكاية الأولى .

• **الاسترجاع المختلط Analepses mixtes** : هي التي تجمع بين الاسترجاعات الداخلية والخارجية وقلما نجدها في ميدان الخطاب الحكائي .

2- الاستباق **Prolepses**

تتمثل في ذكر حدث لاحق أو الإشارة إليه قبل وقوعه ، أي خبر سابق لحدث لاحق وهو التطلع إلى الأمام أو الإخبار القبلي²² وتتميز أيضا بنوعين هما :

• **الاستباق الداخلي Prolepses internes** : هي توقعات حكائية لا تخرج عن نطاق زمن الحكى الأول وتضم نوعين هما:

- **سوابق داخلية تكميلية Prolepses internes completives** : وتختبرنا عما ستكون عليه القصة مستقبلا في إشارة للأحداث أو الشخصيات أي التي تسد مقودا ثغرة لاحقا²³.

- **سوابق داخلية تكرارية Prolepses internes repetitive**: هو ذكر حادثة معينة والتي سوف يتطرق إليها السارد مستقبلا بالتفصيل والتي تضع القارئ في حالة من التشويق لمعرفة المزيد عن هذه الحادثة.

• **الاستباق الخارجي Prolepses externes** : هو سبق للأحداث يتجاوز زمن الحكى الأول ويخرج عنه وهو بذلك يخالف الاستباق الداخلي الذي يبقى مقتصرًا على الحكى الأول.

فاللاحق والسوابق تطي للنص ميزة ترابطية لذلك "يرى أصحاب المنهج الشكلي أن حلقات القصة تتماسك بارتباط اللاحق بالسابق منها"²⁴ إذا تمكنا من الدراسة الجيدة لحلقات الترتيب الزمني "ونعني بدراسة الترتيب الزمني لحكاية ما ، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة ..."²⁵

إذن فالاسترجاع هو سرد حدث قصة في نقطة ما في النص بعد أن يتم حكي الأحداث اللاحقة. وكما كان يعود السرد إلى نقطة ماضية في القصة ، على نحو معاكس ، أما الاستباق فهو سرد حدث قصة في نقطة ما قبل أن تتم الإشارة إلى الأحداث السابقة وكما كان فالسرد يقوم برحلة في مستقبل القصة إذا تجسدت الأحداث.²⁶

2-1-1 شكل الديمومة الزمنية (الحركات السردية):

يمكن من خلال الديمومة الزمنية التمييز بين أربعة أنساق وهي: المجمع، التوقف، الإضمار، المشهد²⁷ ، فحركة المجمع والإضمار أو كما يسميهما البعض الخلاصة والحذف يعبران عن تسريع السرد ، أما التوقف (الاستراحة) والمشهد ، فيعبران عن تبطئة السرد ، فبالاعتماد على هذه الأنساق السردية نهيمن على زمن القصة وعلى حركية السرد، أما (جيران) فينظر إلى الحركات السردية الأربع على أنها أطراف تحقق تساوي الزمن بين الحكاية والقصة أي بين الزمن الحكائي والزمن السردية تحقيقاً عرفياً.²⁸ إن المؤلف يتلاعب بزواوية المدة التي تعرض من خلالها وتيرة الأحداث سريعة أم بطيئة انطلاقاً من النقطة المرجعية للحكي ، لأن استخدام تقنيات الإيقاع الحكائي ، هي مما يقع في قصد مسبق من لدن الراوي أو المؤلف ، ان ثمة دواعي وأهدافاً تجعله الركون إلى مثل هذه التقنيات ضرورياً لتحقيق تلك الغايات والدلالات²⁹ السردية ، فملاحظة الإيقاع الزمني ممكنة دائماً بالنظر إلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها ، فهذا الاختلاف يخلف لدى القارئ انطبعا تقريبياً عن سرعة وتباطؤ الزمن³⁰ وتحليل الزمن من خلال العملية السردية ينبغي علينا أن ندرسه العلاقة بين زمن الحكاية الذي يقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات ، وطول النص الروائي الذي يقاس بالأسطر والصفحات والفقرات والمجموع³¹ ونفس الشئ ينطبق على النص القصصي .

فهذه العلاقة تسمح لنا بمعرفة تغيرات السرد التي تطرأ على النص من خلال الحركات السردية والتي نوجزها كما يلي:

1- المجمع (الخلاصة) Sommaire:

يرى (جيران) أن المجمع ظل حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وسيلة الانتقال الأكثر شيوعاً بين مشهد وآخر³² ، والمجمع يأتي عادة متضمن في المشهد على شكل استرجاع يعود إلى زمن قريب أو بعيد أو المرور على لحظة من لحظات الشخصية لكن بإجمال ، فتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل.³³ فالمجمع يمثل في الأصل حركة تسريع لتيرة الزمن³⁴ فهي تتميز بالاختزال والإيجاز والتكثيف والقفز فوق فترات زمنية، ويبدو أن مهارة التلخيص تمثل جزءاً من كفاءة السرد ذاتها.³⁵ ، فالحكاية على المستوى السردية الكتابي قصيرة وعلى المستوى الحكائي الزمني طويلة³⁶ ، أي أن زمن السرد أقصر من زمن الحكاية.

2- التوقف (الاستراحة) Pause:

التوقف هو انقطاع للزمن يلجأ إليه الراوي عندما يحتاج للوصف فيظل زمن القصة في مكانه إلى غاية انتهاء الراوي من الوصف حيث ينقطع سرد الأحداث ليقابله السرد الوصفي .

فالتوقف له دوره المنوط به وهو الوصف والذي يعتبر أحد مكونات العملية السردية إذ لا يمكن تخيل سرد بدون وصف ، "إن الوصف هو مجرد نقل أمين لأشياء

المقال: أهمية الزمان والمكان في العمل القصصي من منظور النقد الأدبي المعاصر.

متحركة" ³⁷ فالوقوف الوصفي يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطد حركتها ³⁸، ويحيد النص الى حالة من السكون، فعادة ما تقترن الوقفة بالوصف ، وهي بهذا الاقتران تخرج من دائرة الزمن ³⁹ . فالوقفة من مهامها تطييد فاعلية الزمن السردي. وتختلف الوقفات الوصفية من حيث العدد في القصة الواحدة ⁴⁰ ، ولا تقتصر الوقفات على الوصف فقط بل تتعداها في بعض الأحيان لوصف الشخصيات وهناك وقفات أخرى مثل تعليق السارد ليتوقف الحدث مؤقتا بين مقطع سردى وآخر . لهذا فإن المقطع الوصفي - حسب (جينيت)- لا يفلت أبدا من زمنية القصة . وينتمي الوصف إلى النموذج الجمالي القديم ، الذي يسهم في إعطاء القيمة الجمالية للنص ⁴¹ إن استعمال الوصف من خلال التوقف من الأساليب الفنية والتعبيرية التي اهتم بها الأدباء لجعل القارئ يعيش مع القصة .

3- الاضمار (الحذف) L'ellipse:

إن الإضمار أو الحذف أو القطع كما يسميه آخرون عادة ما يكون مصححا به وبارزا ⁴² ، فهو يقوم على حذف فترة زمنية وعدم التطرق لوقائعها ، لذلك نرى أن الزمن على مستوى الوقائع طويل ، و على مستوى القول فهو صفر ⁴³ .

ويميز (جيرار) بين صنفين من الحذوف: فالتصنيف الأول يضم حذف محدد وحذف غير محدد ، أما التصنيف الثاني فكان شكليا ويضم ثلاثة أنواع من الحذوفات فالأول الحذف التصريحي والذي يذكره الراوي والثاني الحذف الضمني والذي لا يصرح به الراوي فالتصريح الضمني عادة ما يكتشفه القارئ من خلال معاشته للتسلسل الزمني ومعرفته بجميع الأحداث ، أما الحذف الثالث فهو حذف افتراضي والذي تستجيد موقعته ، بل أحيانا يستجيد وضعه في أي موضع كان. ⁴⁴

إن الحذف من إحدى وسائل التكتيف والاقتصاد السردى في الخطاب القصصي مهمته امتصاص فترة زمنية ليست على قدر من الأهمية ، إنه يعطي الزمن السردى إمكانية استيعاب الزمن الحكائي ⁴⁵ فالحذف تقنية ذكية لإسقاط فترات من الزمن دون المساس بالفكرة العامة للحكي ، فالحذف على عكس التوقف لأن زمن القصة اصغر من زمن الحكاية.

4- المشهد Scène:

في هذه الحركة الزمنية نرى أن الراوي يتنازل عن مكانه ليترك الشخصيات تتجاور فيما بينها ⁴⁶ فهي اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق ⁴⁷ ، فهذه المساواة ما هي إلا عرفية اصطلاحية فالمشهد هو أقرب حركة سردية تستطيع أن تخلق لنا توازنا زمنيا من خلال الحوار، ويفترض أن يكون المشهد خالصا من تدخل السارد ومن دون أي حذف. ⁴⁸

فالمشهد في السرد هو أقرب المقاطع الروائية إلى التطابق مع الحوار في القصة بحيث يصعب علينا دائما أن نصفه بأنه بطيء أو سريع أو متوقف ⁴⁹ ، كما يمكن على أهدافا أخرى مثل إظهار نفسية الشخصيات وحالاتهم الاجتماعية ، فالمشهد يركز على الأحداث بدقة من خلال الحوار المعبر والمفتوح.

3-1-1 شكل التواتر الزمني :

هو مجموع العلاقات التكرارية بين زمني النص والحكاية أي العلاقة بين زمن السرد والأحداث المكررة وتتمثك هذه العلاقة فيما يلي:

أ- **السرد الأحادي**: وهو سرد مرة واحدة ما حدث مرة واحدة.
ب- **السرد المتعدد**: وهو سرد أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة.
ج- **السرد التكراري**: وهو سرد أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة.
د- **السرد النمطي**: وهو سرد مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة.⁵⁰

إن قابلية الحدث السردية أو الحكاية لإعادة إدخالها في علاقات التواتر أو بعبارة أكثر بساطة إنها علاقات التكرار بين الحكاية والقصة ، فهي ظاهرة من الظواهر الأساسية للزمنية السردية .⁵¹

ومن خلال هذه العلاقات التكرارية وزمن السرد يتشكل التواتر الزمني. ⁵² فالتواتر مكون زمني... بين عدد المرات التي يظهر فيها الحدث في القصة وعدد المرات التي يروي فيها في النص، ومن ثم يستلزم التواتر التكرار.⁵³

بما أن (جيرار) يرى أن دراسة الترتيب الزمني لقصة معينة ، يجري ضمن إقامة مقارنة بين نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردية مع نظام تتابع هذه الأحداث كما ذكرنا سابقا ، فإنه في ذات السياق يقر بصعوبة دراسة المدة بالموازنة مع "الترتيب" و"التواتر" ، وهي صعوبة تأتي من مواجهة "المدة" في المحكي بالقصة التي يرويها ذلك أن لا أحد يستطيع أن يقيس مدة المحكي.⁵⁴

فالتواتر يعتبره (جينيت) مظهرا من المظاهر الأساسية للزمنية السردية ، ولا يمنع أن يكون مظهرا أسلوبيا يكشف عن دلالات مخصصة⁵⁵ ، فهو يؤكد عدم قدرتنا على الاستغناء عن وضع قصة دون تحديد زمنها بالنسبة إلى زمن السرد ، فسردنا في زمن حاضر أو ماضٍ أو مستقبل من الضرورات الملحة ، ولعل ذلك ما جعل التحديدات الزمنية لهيئة السرد أكثر أهمية من التحديدات المكانية⁵⁶

السرد فعك زمني فهو يتحقق في الزمان ، لأنه يتحرك في مجراه وبوساطته لأنه يتقدم متصلا به.⁵⁷ فالسرد القصصي لا بد له من زمن للسرد يساعده على بناء حوادثه ويتمثلك هذا السرد في أربعة أصناف نوجزها كما يلي:

1- **السرد التابع**: الذي يتعلق بذكر أحداث مضت قبل زمن السرد

2- **السرد المتقدم**: هي الاستباقات التي تقوم بوظيفة إطلاعية .

3- **السرد الآني**: يكون معاصرا لزمن الحكاية ويقصر على سرد الحوادث.

4- **السرد المدرج**: هو الذي يتدخل بين فترات الحكاية فيكون أكثر تعقيدا.⁵⁸

فمن خلال عملية التواتر الزمني بين الأحداث والصيغ السردية ، تتشكل أحداث أخرى من أجل دفع حركة السرد إلى الأمام وهذا بغية تحديد هيكلية النص فالتواتر الزمني من أهم مظاهر البنية السردية يلجأ إليها المؤلف من أجل إعطاء صورة جمالية وفنية لعمله الإبداعي.

2- السردية المكانية :

كل الأشياء في العالم الخارجي تشكل مكانا ، أي ذات امتداد ، وبينها وبين بعض مسافات ولا يتدخل بعضها في بعض.⁵⁹ فالمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ومزينة التي تشده إلى الأرض ، ولا غرو فالمكان يلعب دورا رئيسيا في حياة أي إنسان.⁶⁰

إن المكان له تأثير كبير في حياة البشر فكل شئ في الحياة إلا ويدور داخل حركة المكان، فالمكان لغة هو الموضع ، والجمع أمكنة إن اسم المكان هو اسم مشتق للدلالة على مكان وقوع الفعل.⁶¹

أما عند الفلاسفة فقد شغلهم المكان قديما فـ (أفلاطون) نظر إلى المكان على أنه "الجاوي" ⁶²، أي الجاوي للأشياء ، فالمكان هو ما يحيط بنا وجاء في "المعجم الفلسفي" أن المكان هو: "الجاوي الأول وهو ليس جزء من الشيء" .

فالمؤلف يحرص على براءة تصوير المكان و مدى تطابق المكان المروي بالمكان الواقعي فالأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طبيعتها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضييق أو الانفتاح والانغلاق... حتى أن هندسة المكان تساهم أحيانا في تقريب العلاقات بين الأبطال أو خلق التباعد بينهم. ⁶³

فالمكان من أهم المصطلحات النقدية التي عرفت دراسات كثيرة فهو ركن من أركان القصة و إحدى الأسس الهامة في البناء السردية فهو يحتل مركزا جوهريا في الوظيفة الحكائية فهو محور من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب ، غير أن المكان- في الآونة الأخيرة - لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية...ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، وأصبح تفاعله العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي. ⁶⁴

إن المكان يشكل كيانا ذاتيا للإنسان ، فالإنسان موجود في المكان والمكان يحيط به ، فالملاحج الجمالية الحقيقية تتجلى في القصة عبر توظيف القاص للمكان ، لان اتجاهات الكتابة الروائية - أو القصصية- بما تحمله من تصورات عن العالم تحدد دائما طبيعة التعامل مع التقنيات الروائية ، ومنها تقنية وصف المكان ، فإما أن تتم العناية بالمكان ، وإما أن يتضاءل أو يتخذ شكلا جديدا مخالفا للأساليب السابقة في الكتابة الروائية. ⁶⁵

فالمكان في القصة لا يعبر عن المكان الحقيقي الذي يعيش فيه الإنسان ، فالمكان هو حيزا لوقائع الأحداث وفضاء لحوار الشخصيات، فنماذج اسم المكان في اللغة العربية كثيرة ومتنوعة ، ويدل معناها على مكان وقوع الحدث ⁶⁶ ووع اختلاف الدارس في تحديد مفهوم المصطلح اختلفت تسمياته فالبعض أطلق عليه اسم "الحيز المكاني" والبعض الآخر "المكان" وأخرون "الفضاء" وراح كل باحث يدافع عن تسميته ويبرر دلالة الأدبية. ⁶⁷

لقد رصد (حميد لحمداني) تعدد مفهوم الفضاء وحضره في أربعة أشكال هي:

- الفضاء الجغرافي: هو مقابل لمفهوم المكان ، ويتولد عن طريقة الحكي ذاته،إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال...

- فضاء النص: هو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية -باعتبارها أحرفا طباعية- على مساحة الورق.

- الفضاء الدلالي: يشير إلى الصورة التي تخلفها لغة الحكي وما ينشأ عنهما من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.

- الفضاء كمنظور: يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي/الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون. ⁶⁸

بالرغم أن الكثير من النقاد اهتموا بمفهوم الفضاء ، لكن هناك من يفضل استخدام مفهوم المكان ، لان المكان بوصفه الجاهل المادي للعمل سواء كان من القصة الشفاهي أو الكتابي ⁶⁹ بغية الوصول إلى إستراتيجية فنية ،لذا نشأ الاهتمام بالمكان الفني نتيجة لظهور بعض الأفكار والتصورات التي تنظر إلى العمل الفني على أنه مكان تحدد أبعاده تحديدا معينا. ⁷⁰

فجمالية المكان نجدها لازمة حتمية في كل الأنواع الأدبية فيمكن أن تدرس في القصيدة كما تدرس في النص القصصي أو المسرحي. وإذا كان المكان عاملاً مشتركاً فلا بد أن نجده بأشكال متناسبة في كل نوع من هذه الأنواع، فهو عنصر جوهري في الأعمال القصصية والمسرحية.⁷¹

ومما ساعد على وجود شعيرية للمكان هو تواجده الجسدي ومن أبرز من أسهم بفاعلية في إبراز المكان وإعطائه دلالاته بذلك النص الروائي (غاستون باشلار) في كتابه "شعيرية الفضاء"، حيث أعطى مفهومه للمكان باعتباره صورة فنية أطلق عليه اسم "المكان الأليف".⁷²

عادة ما نرى بعض القصص تهتم مؤلفيها بخلق أبعاد مكانية متعددة نظراً لتغيرات الأحداث، إن مجموع هذه الأمكنة يسمى فضاء، لأن الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء.⁷³ لقد صار مفهوم جمالية المكان من أولويات النقد الحديث في العالم العربي وذلك لاهتمام النقاد العرب بدراسة المناهج النقدية الحديثة والتي كانت تنظر لهذا المفهوم على أنه سمة جمالية تزيد في بهاء البنية السردية.

خاتمة :

مما تقدم نستنتج أن المكان والزمان يعتبران من أهم المكونات الأساسية في بناء الخطاب القصصي، إذ أنهما يلتقيان في علاقات متعددة، مما أوجب استخالة فصلهما، لما بينهما من تداخل وتمازج، فالمكونات الحكائية للسرد تتفاعل وجوباً مع الزمان والمكان، فمعرفة طبائع الشخصيات حسب زمنيته ومكان تواجدها يعتبر دلالة واضحة عن تجسيد فهم طبيعة المكان والزمان، أما الأحداث فلا يمكن لها أن تدور معالمها في عالم خالي من الزمان والمكان، كما أن فهم مقتضيات الزمان والمكان يقتضي لغة مفهومة يسير على هداها القارئ لفهم حقائق الحكى واستشراق الأبعاد الفنية بذلك النص الأدبي، والنتيجة أن الزمان والمكان لهما تأثير مباشر على بنية الخطاب القصصي فالتوظيف الجيد لهما، يُشعرنا وكأننا بذلك القصة نعيش في زمنها ونرى أماكنها و مشهديات خطابها.

الهوامش

- ¹ - سعيد يقطين ، الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي-المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، 1997 ، ص 226.
- ² - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغربي ، دار سحر للنشر ، تونس ، 2009 ، ص 43.
- ³ - عبد الرحيم الكروي ، البنية السردية للقصة القصيرة ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط03 ، 2005، ص 149.
- ⁴ - أحمد طاهر حسنين وآخرون : جماليات المكان ، عيون المقالات ، ط:02،الدار البيضاء، 1988، ص:21.
- ⁵ - مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2004، ص:19.
- ⁶ - احمد حمد النعيمي:ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004، ص43.
- ⁷ - أحمد طاهر حسنين وآخرون ، جماليات المكان ، ص :112.
- ⁸ - ميساء سليمان الابراهيم،البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص:27.
- ⁹ - ابن منظور؛لسان العرب، مطبعة دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ج6، ط: 03، 1999، ص: 86.
- ¹⁰ - شلوميت ريمون كنعان،التخييل القصصي-الشعرية المعاصرة-، ترجمة لحسن أحمادة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ، ط1، 1995، ص:69.
- ¹¹ - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغربي ، ص:131.
- ¹² - مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر،-دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص: 20.
- ¹³ - سليمة لوكام :تلقى السرديات في النقد المغربي ، ص: 85 .
- ¹⁴ - المرجع نفسه: ص:109.

- 15 - مراد عبد الرحمان مبروك : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة -الرواية النوبية نموذجاً-الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2000، ص: 183.
- 16 - ميساء سليمان الابراهيم :البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة،ص:227.
- 17 - يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفارابي ،لبنان،ط:03، 2010، ص: 113
- 18 - جيار جينيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ترجمة : محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1997 ، ص: 62
- 19 - المرجع نفسه: ص: 64
- 20 - نفسه: ص: 72
- 21 - نفسه: ص: 71
- 22 - ميساء سليمان الابراهيم :البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة،ص:230.
- 23 - جيار جينيت:خطاب الحكاية ، ص: 79
- 24 - يمنى العيد : الراوي :الموقع والشكل -بحث في السرد الروائي-،مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط 1، 1986، ص : 55.
- 25 - جيار جينيت:خطاب الحكاية ، ص: 47.
- 26 - شلوميت ريمون كنعان :التخييل القصصي ، ص: 74.
- 27 - مراد عبد الرحمان مبروك : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة ، ص: 210
- 28 - ميساء سليمان الابراهيم :البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة،ص: 223 .
- 29 - ناهضة ستار : بنية السرد في القصص الصوفي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2003، ص: 211
- 30 -حميد لحمداني:بنية النص السردى-من منظور النقد الأدبي-،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،بيروت،1991،ص:76
- 31 - مراد عبد الرحمان مبروك : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة ، ص: 210
- 32 - جيار جينيت: خطاب الحكاية ، ص : 110
- 33 - حميد لحمداني :بنية النص السردى ، ص: 76
- 34 - سليمة لوكام :تلقى السرديات في النقد المغربي ، ص: 114.
- 35 - ميساء سليمان الابراهيم :البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص: 225 .
- 36 - مراد عبد الرحمان مبروك : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة ، ص: 211.

- 37 - الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي
ط1، لبنان، 1990، ص:152.
- 38 - حميد لحمداني: بنية النص السردي، ص: 76
- 39 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغربي، ص:115
- 40 - ناهضة ستار: بنية السرد في القصة الصوفي، ص: 215
- 41 - ميساء سليمان الابراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:225
- 42 - حميد لحمداني: بنية النص السردي، ص: 77
- 43 - ناهضة ستار: بنية السرد في القصة الصوفي، ص: 212
- 44 - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص: 119
- 45 - ميساء سليمان الابراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:223
- 46 - ناهضة ستار: بنية السرد في القصة الصوفي، ص: 220
- 47 - حميد لحمداني: بنية النص السردي، ص: 78
- 48 - ميساء سليمان الابراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:226
- 49 - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص: 78.
- 50 - مراد عبد الرحمان: آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، ص: 196.
- 51 - ميساء سليمان الابراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص: 233.
- 52 - مراد عبد الرحمان: آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، ص: 196.
- 53 - شلوميت ريمون كنعان: التخييل القصصي، ص:88
- 54 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغربي، ص:112.
- 55 - ناهضة ستار: بنية السرد في القصة الصوفي، ص: 227
- 56 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغربي، ص:131.
- 57 - سعيد يقطين، السرد العربي - مفاهيم وتجليات- طر رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،
2006، ص:195.
- 58 - مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، ص:21.
- 59 - عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد الى الفلسفة، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت
1975، ص: 196.
- 60 - أحمد طاهر حسنين وآخرون: جماليات المكان، ص: 05.
- 61 - المرجع نفسه، ص:06
- 62 - عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد الى الفلسفة، ص:196.

-
- 63 - حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص:72.
- 64 - أحمد طاهر حسنين وآخرون : جماليات المكان ، ص:03.
- 65 - حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص:67.
- 66 - أحمد طاهر حسنين وآخرون: جماليات المكان ، ص:06.
- 67 - كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"،
مجلة الأثر، (كلية الآداب والعلوم الانسانية ،جامعة ورقلة)، الجزائر ، العدد الرابع، ماي 2005 ،
ص:140.
- 68 - حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، ص:62.
- 69 - سيد اسماعيل ضيف الله ،آليات السرد بين الشفاهية والكتابة،الهيئة العامة لقصور
الثقافة ،القاهرة،2008 ، ص: 247
- 70 - أحمد طاهر حسنين وآخرون : جماليات المكان ، ص:68.
- 71 - المرجع نفسه: ص: 21.
- 72 - كلثوم مدقن ، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"،
ص:143.
- 73 - حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص:63.